رهبان الليل

تأليف الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبى

مكتبة الإيمان المنصورة

١٤١٨ - ١٩٩٧

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلّ لهُ ومن يُضْلِلْ فلا هادى له، الحمد لله الذى يقلب الأيام والدهور، وصدق القائل إذ يقول:

رأيت الدهر منقلبًا يدور — فلا حزن يدوم ولا سرور
فكم بنت الملوك لها قصور — فلم تَبْقَ الملوك ولا القصور
أيا من عاش فى الدنيا طويلاً — وأفنى العمر فى قيل وقال
أبا الدنيا يقاد إليك عَفْوًا — فإن مصير ذلك كله الزوال
ولا تركن إلى الدنيا كثيرًا — وقم للهِ واجمع خير زاد
أترضى أن تكون رفيق قوم — هم بزاد وأنت بغير زاد؟

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدًا عَبْدُهُ ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾
آل عمران: ١٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب ٧٠ ـ ٧١

وبعد

فهذا كتاب أسميته «رهبان الليل»؛ لأن الرعيل الأول بحق كانوا فرسانًا بالنهار، رهبانًا بالليل بين يدى الواحد الغفار، وما أعددت هذا الكتاب إلا لتقويم المعوج، وتسديد المنحرف، وبغية هداية الضال. فإن الأمة حاليًا صارت أمة غثائية، وقد نزع الله المهابة من صدور أعدائها، وقذف فى قلوب أبنائها الوهن، بسبب بعدهم عن الدين، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها، وكراهيتهم للموت، وتقاعدهم عن الجهاد فى سبيل الله حتى صاروا مطمعًا لكل مشرك. وإنى بإعدادى لهذا الكتاب أدعو الله تبارك وتعالى لأبناء الأمة أن يهديهم سواء الصراط، وأن يجعلهم رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار، حتى ترتفع راية الواحد القهار. والحمد لله رب العالمين.

المؤلف/ الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبى

مؤلف برابطة العالم الإسلامى برقم (٩٣/ ب)

عضو العلاقات العامة العربية برقم (١١٦٦)

دراسات عليا بالدراسات الإسلامية

المنصورة

رهبان الليل(*)

هكذا كانت صفة الرعيل الأول «فرسان فى النهار رهبان بالليل» فهم الذين زكوا أنفسهم حتى سهل قيادها، فأصبحوا هم السادة لأنفسهم، ولم يقبلوا بأن يكونوا عبيدًا لها توجههم حيث شاءت، فأصبحوا هم الاستثناء من الأصل فى النفوس الأمارة بالسوء، ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(١) ، وأخذوا أنفسهم بالعزائم، حتى صارت أشق العبادات أحبها إلى نفوسهم، حتى إنه يروى لأكثر من واحد منهم بأنه لا يتحسر على شىء من الدنيا سوى «مكابدة الليل وظمأ الهواجر» وهما قيام الليل وصيام النهار، ولأن قيام الليل من أشد العبادات، كان هو الشغل الشاغل لهم، والذى لا يجدون لذة المناجاة إلا فى غماره، حتى جعلت تلميذا من تلاميذهم وهو عطاء بن أبى رباح يصفه بأنه «محياة للبدن، ونور فى القلب، وضياء فى الوجه، وقوة فى البصر والأعضاء كلها، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسروراً، وإذا نام عن حزبه أصبح حزينا مكسور القلب، كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور نفعاً»(٢) . فلا يستغرب بعد ذلك أن تكون هذه العبادة الشاقة على النفس هى التى ربى فيها الرب سبحانه وتعالى نبيه ﷺ قبل أن يبعثه، وكانت واجبة عليه وعلى أتباعه فى البداية، ذلك لأن جيل التأسيس لا يستطيع القيام بمهام الدعوة العظيمة ما لم يكن صلب القاعدة، ومتين الأساس. هذا ما دعا الإمام محمد بن سيرين أن يجعلها من مكونات القدوات، فقال «لابد من قيام الليل، ولو بقدر حلب الشاة»(٣) .

ووصل حبهم لقيام الليل أنهم كانوا يحزنون حين إدباره، وإقدام النهار، وها هو الإمام الجليل سفيان الثورى يقول: «إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت»(٤) .

(*) واحات الإيمان ـ عبد الحميد البلالى المجموعة الأولى. ط ـ دار الوفاء.

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٩٤.

(٣) الزهد لأحمد ٦ ـ ٣.

(٤) الجرح والتعديل ١/ ٨.

ويخبر عنه أبو يزيد المعنى بأنه كان «إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط، ورأسه إلى الأرض، كى يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل»[1] كيف لا يعشقون الليل وفيه ينزل الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا، فيزداد الشعور بالقرب وتزداد لذة المناجاة؟ وكيف لا يعشقونه وهو أحد الطرق الموصلة للجنة بسلام؟ وذلك لقوله ﷺ : «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[2] ،وكيف لا يعشقونه وقد كان قدوتهم وحبيبهم ﷺ يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه[3] ،وهم الحريصون على الاقتداء به ليحشروا معه؟.

* معاهد الأجيال:

ولحرصهم لهذه العبادة، كانوا يتعاهدونها جيلا بعد جيل، وكان الآباء يغرسونها فى نفوس الأبناء، فعن معاوية بن قرة أن أباه كان يقول لبنيه إذا صَلَّوا العشاء: «يا بنى ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيرا»[4] .وكان لأبى هريرة رضى الله عنه تقسيمة أخرى لليل، فكان «يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا»[5].

وكأنه يمتثل حديث النبى ﷺ الذى يقول فيه: «رحم الله رجلا قام من الليل وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح فى وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء»[6].

* قيود الخطايا:

وكان الحسن البصرى يعد تارك القيام محروما، لأنه حرم من خير كبير فيه مناجاة الحبيب، وفيه الانتصار على النفس، وفيه الترفع على جواذب الطين، فهو يصرح بأنه «إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم،

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩.
(٢) الترمذى (٢٨٧) صححه الأرناؤوط ـ الرياض ٧/ ١١٦٦.
(٣) البخارى ٨/ ٤٤٩ ومسلم ٢٨٢٠.
(٤) الزهد لأحمد ١٨٧.
(٥) الزهد لأحمد ١٧٧.
(٦) أبو داود ١٣٠٨.
(٧) الحسن البصرى ـ لابن الجوزى ص ١٤.

قد كبلتك الخطايا والذنوب»[٧] وكان يعتبر الخطايا قيودا تمنع التوفيق لفعل هذا الخير ولابد من توبة نصوح، واستغفار نقى، كى ينشرح الصدر لهذه العبادة، فقد جاءه رجل يسأله «يا أبا سعيد: أعيانى قيام الليل فما أطيقه! فقال: يا ابن أخى استغفر الله، وتب إليه، فإنها علامة سوء»[١] وكان يقول: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل»[٢]. فمن أراد أن ينتمى إلى زمرة «رهبان الليل» ليس أمامه إلا الابتعاد عن الذنوب والانتصار على النفس.

*****

(١، ٢) الحسن البصرى - لابن الجوزى ص١٤.

إهتمام النبى صلى الله عليه وسلم
وصحابته بقيام الليل[1]

عن عبد الله بن أبى قيس قال: قالت عائشة رضى الله عنها: لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا. (الترغيب ١/ ٤٠١).

وعن جابر رضى الله عنه قال: كتب علينا قيام الليل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا﴾[2] فقمنا حتى انتفخت أقدامنا، فأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ إلى آخر السورة.

وعن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته، ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله فى الكراع والسلاح، ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقى رهطًا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فقال: «أليس لكم فى أسوة حسنة»؟ فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس رضى الله عنهما فسأله عن الوتر فقال: لأنبئنك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ: قال: نعم، قال: ائت عائشة رضى الله عنها فسلها ثم ارجع إلىَّ فأخبرنى بردها عليك، قال: فأتيت على حكيم بن أفلح فاستخلفته إليها فقال: ما أنا بقاربها، إنى نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين فأبت فيهما إلا مضياً، فأقسمت عليه، فجاء معى فدخلنا عليها فقالت: حكيم، وعرفته، قال: نعم، قالت: من هذا معك؟ قال: سعيد بن هشام، قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر، قال: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً! قلت: يا أم المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. فهممت أن أقوم ثم بدا لى قيام رسول الله ﷺ، قلت:

(١) راجع: حياة الصحابة ـ للكاندهلوى (٣/ ٥٣٦ـ ٥٤٠).
(٢) المزمل: ١ـ ٢.

يا أم المؤمنين أنبئينى عن قيام رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ هذه السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة فهممت أن أقوم ثم بدا لى وتر رسول الله ﷺ فقلت: يا أم المؤمنين أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ، قالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما يشاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ، ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعوه ثم ينهض وما يسلم، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بنى، فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم، فتلك تسع يا بنى، وكان، رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة، ولا أعلم نبى الله ﷺ قرأ القرآن كله فى ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال: صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى مشافهة»(١).

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٢).

وعن الحسن أن عثمان بن أبى العاص تزوج امرأة من نساء عمر بن الخطاب، فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة فى مال ولا ولد، ولكن أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر، فسألها: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلى العتمة ثم يأمر أن نضع عند رأسه توراً من ماء نغطيه، ويتعار من الليل فيضع يده

(١) الحديث: رواه مسلم فى صحيحه بنحوه، وراجع تفسير ابن كثير٣/٤٣، والحديث بلفظه رواه أحمد فى مسنده.

(٢) طه: ١٣٢.

فى الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر، ثم يتعار مراراً حتى يأتى على الساعة التى يقوم فيها لصلاته، فقال ابن بريدة: من حدثك؟ فقال: حدثتنى بنت عثمان بن أبى العاص، فقال: ثقة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يحب الصلاة فى كبد الليل - يعنى وسط الليل[(١)].

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحيى الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح[(٢)].

وعن أبى غالب قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة فكان يتهجد من الليل فقال لى ذات ليلة قبيل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم فتصلى؟ ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟ فقال: إن سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن.

وعن علقمة بن قيس قال: بت مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ليلة فقام أول الليل، ثم قام يصلى فكان يقرأ قراءة الإمام فى مسجد حَيِّه يرتل ولا يرجع يسمع من حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلا الانصراف منها، ثم أوتر[(٣)].

وعن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان رضى الله عنه لينظر ما اجتهاده قال: فقام يصلى من آخر الليل، فكأنه لم ير الذى كان يظن، فذكر ذلك له فقال سلمان. حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفادات هذه الجراجات ما لم تصب المقتلة، فإذا صلى الناس العشاء صدروا عن ثلاثة منازل: منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه. فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه فى المعاصى فذلك عليه ولا له، ومن له عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلى فذلك له ولا عليه، ومن لا عليه فرجل

(١) راجع: الكنز ٤/٢٨٩.
(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية ١/٣٠٣، وفى الإصابة ١/٣٩.
(٣) قال الهيثمى ٢/٢٦٦: «رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح».
(٤) قال المنذرى فى الترغيب ١/٤٠١: «رواه الطبرانى فى الكبير موقوفًا بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة».

صلى ثم نام فلا له ولا عليه إياك والحقحقة وعليك بالقصد وداوم(٤).

صلاة الليل

وما يقال فيها

قال قتادة: لما نزلت: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ قاموا حولاً أو حولين، حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً فى آخر السورة.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ فنسخت هذه الآية وما قبلها.

واعلم رحمك الله أن الصلاة نور وضياء، ودواء وشفاء، وخير موضوع، كما ورد فى الخبر: «فليستقل العبد من ذلك أو ليستكثر» رواه أبو داود رحمه الله.

وقال ﷺ : «استقيموا ولن تحصوا، واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» ذكره مالك فى الموطأ.

وليس يلى الصلاة المكتوبة فى الفضيلة إلا الصلاة فى جوف الليل، كما ورد فى الخبر: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة فى جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم» ذكره مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ .

*****

١ ـ قال ابن الخراط:

وقيل فى تفسير قول يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿سوف أستغفر لكم ربى﴾ إنما أراد أن يكون استغفاره فى السحر، لأنه [مظان القبول] ووقت الإجابة.

٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود» كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه.

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

٣ ـ وسئل الحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله:

أى قيام الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الأوسط، عند ذلك يكون نزول الرحمة وحلول المغفرة.

٤ ـ وعن أبى مسلم قال: قلت لأبى ذر: أى صلاة الليل أفضل؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «نصف الليل وقليل فاعله».

٥ ـ عن عائشة قالت: ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائماً.

٦ ـ قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليوقظه الله تعالى بالليل فما يجىء السحر حتى يفرغ من جزئه.

٧ ـ وعن مسروق بن الأجدع: سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم.

قلت: أى حين كان يصلى؟ قالت: كان إذا سمع الصارخ قام فصلى.

ما يقال فى صلاة الليل

١ ـ عن على بن أبى طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال:

«وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

«اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت وليى وأنا عبدك، ظلمت نفسى واعترفت بذنبى، فإغفر لى ذنوبى جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، وإصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لله سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى».

وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد، ملىء السموات وملىء الأرض، وملئ ما بينهما، وملئ ما شئت من شىء بعد».

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم إغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

٢ ـ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد، أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت، أنت إلـهى، لا إله إلا أنت».

٣ ـ وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأى شىء

كان النبى ﷺ يفتتح الصلاة إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته:

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم».

عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة بما كان يستفتح [رسول الله ﷺ] قيام الليل؟ قالت: لقد سألتنى عن شيء ما سألنى عنه أحد قبلك، كان رسول الله ﷺ يكبر عشراً ويحمد عشراً ويسبح عشراً ويهلل عشراً ويستغفر عشراً ويقول:

«اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى وعافنى، أعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة».

٤ - عن ابن عباس قال: بت عند خالتى ميمونة، فقام النبى ﷺ من الليل فأتى حاجته، ثم غسل وجهه ويديه ثم نام، ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين ولم يكثر وقد أبلغ ثم قام فصلى فقمت فتمطيت كراهيه أن يرى أنى كنت أنتبه إليه، فتوضأت فقمت عن يساره، فأخذ بيدى فأدارنى عن يمينه. فتتامت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فأذنه بالصلاة فقام فصلى ولم يتوضأ، وكان يقول فى دعائه:

«اللهم إجعل فى قلبى نوراً، وفى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن يسارى نوراً، وفوقى نوراً، وتحتى نوراً، وأمامى نوراً، وخلفى نوراً، وأعظم لى نوراً».

٥ - ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا قام من الليل يقول:

«اللهم إنك ترى مقامى وتعلم حاجتى، فارجعنى الليلة من عندك مفلحاً منجحاً مستجيباً مستجاباً لى، قد رحمتنى وغفرت لى».

فإذا قضى صلاته قال: «اللهم إنى لا أرى شيئاً من أمر الدنيا يدوم، ولا أرى فيها حالاً يستقيم، فاجعلنى أنطق فيها بحكم، وأصمت فيها بحكم، اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى، ولا تقلل لى منها فأنسى، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

وكان يزيد الرقاشى إذا قام لصلاة الليل يقول: اللهم إن فرارى من النار إلى رحمتك بطىء، فقرب رحمتك منى يا أرحم الراحمين، وطلبى لجنتك ضعيف فقو ضعفى فى طاعتك يا أكرم المسؤولين.

وكان خليفة العبدى من العابدين، وكان إذا قام الليل يقول: قام الباطلون وقمت معهم متعرضين لجودك، فكم من ذى جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذى كرب عظيم كشفت له عن كربه، وكم من ذى ضر كثير فرجت له عن ضره، فوعزتك ما دعانا إلى مسألتك مع ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى عرفناه من كرمك وجودك فأنت المؤمل لكل خير والمرجو عند كل نائبة.

٦ ـ عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان؟ قالت: ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن ولا طولهن، ثم يصلى ثلاثاً.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى».

٧ ـ عن حذيفة بن اليمان قال: صليت مع النبى ﷺ ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة فمضى، فقلت: يركع عند المائتين فمضى، فقلت: يصلى بها فى ركعة فمضى، فافتتح سورة النساء فقرأها، ثم إفتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فقال: «سبحان ربى العظيم».

فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده» وكان

قيامه قريبًا من ركوعه، ثم سجد فجعل يقول: «سبحان ربى الأعلى».

فكان سجوده قريبًا من ركوعه.

٨ ـ وعن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه أنه راقب رسول الله ﷺ فى ليلة صلاها رسول الله ﷺ حتى كان مع الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال:

يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، لقد صليت الليلة صلاة، ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله ﷺ:

«أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربى فيها ثلاث خصال، فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة، سألت ربى ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربى ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربى ألا يلبسنا شيعًا فمنعنيها».

٩ ـ عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة فصلى ركعتين خفيفتين.

ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما.

ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة.

١٠ ـ وعن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: كان يصلى العتمة ثم يسبح ثم يصلى بعدها ما شاء من الليل، ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومته تلك فيصلى مثل ما نام وصلاته تلك الآخرة تكون إلى الصبح.

*****

كيفية قراءة القرآن فى قيام الليل

١ ـ عن أبى هريرة قال:

كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً.

٢ ـ وعن عائشة قالت:

تهجد النبى ﷺ فى بيتى، فسمع صوت عُبَّادٍ يصلى فى المسجد فقال: «يا عائشة، أصوت عباد هذا؟».

قلت: نعم. قال: «اللهم ارحم عباداً».

عباد هذا هو عباد بن بشر الأنصارى رضى الله عنه.

٣ ـ وعن عبد الله بن أبى قيس قال:

سألت عائشة: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل أيجهر أم يسر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما جهر وربما أسر.

٤ ـ عن عبد الله بن رباح عن أبى قتادة الأنصارى أن النبى ﷺ قال لأبى بكر: «مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك».

فقال: إنى أسمعت من ناجيت. قال: ارفع قليلاً.

وقال لعمر: مررت بك وأنت [تقرأ، وأنت] ترفع من صوتك.

فقال: إنى أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. قال: «أخفض قليلاً».

٥ ـ وعن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ ليلة فى مربده قال: فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ - يعنى فذكر ذلك له ـ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم».

٦ ـ عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا».

٧ - وعنها قالت: كان النبى ﷺ يستمع قراءة رجل فى المسجد فقال: «رحمه الله لقد أذكرنى آية كنت أنسيتها».

٨ - وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: يستحب للذى يصلى فى بيته أن يرفع صوته بالقرآن، وقد كان الناس إذا أرادوا سفراً اتعدوا لقيام القراء وكانت بيوتهم شتى فكانت أصواتهم تسمع القرآن، فأنا أستحب ذلك.

٩ - يقول ابن الخراط: وهذا راجع إلى الإنسان، وهو مخير فيما شاء منه وبحسب ما تحضره النية وتطيب له القراءة ما لم يشغل مصلياً أو يؤذ نائماً فى وقت قد أبيح فيه النوم.

أما منعه من إشغال المصلى، فلما ذكره مالك فى الموطأ عن فروة بن عمرو البياض أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة. فقال:

«إن المصلى يناجى ربه، فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»، وأما منعه من إيذائه النائم، فلأن النائم فى وقت أبيح له فيه النوم لم يحل أن يوقظه إلا بأمر يوجب ذلك.

*****

إقامة حروف القرآن فى قراءته

١ـ وقد أباح عليه السلام القيام بالقرآن فى ثلاث ليال، ولا يقوم أحد بالقرآن فى ثلاث ليال فى الوقت المستحب للقيام من نصف الليل أو نحوه إلا وليهذه أو يهذ فى كثير منه هذا على حكم العادة فى الكل أو فى الأكثر.

٢ ـ عن مالك أنه قال فى الهذ فى القراءة: من الناس من إذا هز كان أحق عليه، وإذا رتل أخطأ، ومن الناس من لا يحسن الهذ والناس فى هذا على قدر حالاتهم وما يخف عليهم، وكل واسع.

٣ ـ وذكر عن زياد بن عبد الرحمن قال: قال لنا مالك رحمه الله: الترسل من غير سرف أحب إلينا من الهذ، وخير الأمور أوساطها، فلا أرى أن يترسل جداً، ولا أرى أن يهذ هذاً، لكن وسطاً من القراءة. قال: أما الترتيل فهو المحفوظ عن رسول الله ﷺ كان عليه السلام يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، وكان عليه السلام يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمد بسم الله ويمد بـ الرحمن ويمد بـ الرحيم.

٤ ـ وقد قال رجل لعبد الله بن مسعود: قرأت البارحة المفصل كله فقال له: هذّاً كهذ الشعر، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع.

٥ ـ وقال سفيان الثورى: لا بأس أن يقرأ القرآن فى ليلة إذا أقام حروفه.

*****

(١) الصلاة ـ للخراط ـ مرجع سابق.

ترديد الآيات فى القرآن

يقول ابن الخراط: وأما ترديد الآية فقد روى عنه عليه السلام أنه قام ليلة بآية يرددها، وهى.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ثم ساق هذه الروايات التالية.

روى عن مسروق أنه قال: قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ بآية يركع فيها ويسجد ويبكى **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾**.

وعن صفوان بن سليم قال:

قام تميم الدارى فى المسجد بعد أن صلى العشاء الآخرة فمر بهذه الآية **﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾** فما خرج منها حتى سمع آذان الصبح.

وكان مروان بن رباب الأسدى يقوم من الليل ليتهجد، فربما ردد هذه الآية حتى أصبح. **﴿قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾** ويبكى فهو كذلك حتى يصبح - أو قال: يذهب - ليل طويل وكان إذا قام للتهجد قام مسروراً.

وردد سعيد بن جبير هذه الآية حتى أصبح **﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾**.

وقام رجل من الصالحين يصلى من الليل فمر بقوله تعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾** فجعل يرددها ويبكى حتى أصبح، فلما أصبح قيل له: لقد أبكتك آية ما مثلها يبكى إنها جنة عريضة - أى واسعة - فقال: يا ابن أخى، وما ينفعنى عرضها إن لم يكن لى فيها موضع قدم.

وقال أشهب بن عبد العزيز: خرجت ليلة بعد ما رقد الناس فمررت بمنزل مالك بن أنس فإذا هو قائم يصلى، فلما فرغ من قراءة **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**

ابتدأ ﴿**ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر**﴾ حتى بلغ ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾ فبكى بكاء طويلاً، ثم جعل يرددها ويبكى، وشغلنى ما أسمع من كثرة بكائه عن التوجه إلى حاجتى التى خرجت إليها ولم أزل قائماً وهو يرددها ويبكى حتى طلع الفجر، فلما تبين له الفجر ركع، فانصرفت إلى منزلى فتوضأت، ثم أتيت المسجد فإذا به فى مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت إلى وجهه وقد علاه نور ، فتذكرت الحديث، من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقال خلف بن حوشب: أقام سليمان التيمى فصلى فقرأ سورة الملك فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿**فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا**﴾ فجعل يرددها فلم يزل يرددها حتى أصبح.

وقال سعيد بن عبيد: كان سعيد بن جبير يؤم قومه، فسمعته ليلة فى تراويح شهر رمضان يردد قوله تعالى: ﴿**إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون**﴾ فجعل ينشج بنشيج يقطع أكباد سامعيه حتى سقط مغشياً عليه.

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يمر بالآية فى ورده فيسقط فيعاد منها كما يعاد المريض.

وقام الحسن البصرى ليلة يصلى فردد هذه الآية حتى أسحر ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ فلما أصبح قيل له: يا أبا سعيد، لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليلة. قال: إن فيها لمعتبراً ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة وما لا نعلم من نعم الله أكثر.

وقام الحسن بن حى ليلة بـ ﴿**عم يتساءلون**﴾ يردد آية فيها ثم غشى عليه ثم عاد فعاد إليها فغشى عليه، فلم يختمها حتى طلع الفجر.

وقال محمد بن كعب القرظى: لأن أقرأ بـ ﴿**إذا زلزلت**﴾ وبـ ﴿**القارعة**﴾ أرددها أو أتفكر فيها حتى أصبح ولا أزيد عليها أحب إلىَّ من أن أهذ القرآن ليلتى كلها هذاً.

*****

القصد فى الطاعة

وقيام الليل

١ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بلغ النبى ﷺ أنى أصوم أسرد وأصلى الليل فلما أرسل إلىَّ وإما لقيته، قال: «ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلى الليل؟ فلا تفعل فإن لعينيك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفطر وصل ونم».

٢ ـ وذكر البخارى أيضاً عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا لحالتهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أأنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

٣ ـ عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندى امرأة، فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة لا تنام تصلى.

فقال: «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه».

وفى لفظ آخر: هذه الحولاء بنت تويت زعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا».

٤ ـ عن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا؟» فقالوا: لزينب تصلى، فإذا كسلت أو فترت وأمسكت به فقال: «حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو قد قعد».

٥ ـ وذكر البخارى عن أبى جحيفة قال: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فوضع له طعاماً فقال: كل فإنى صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم ثم ذهب يقوم فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان:

قم الآن فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذى حق حقه. فأتى النبى ﷺ فذكر له ذلك فقال النبى ﷺ صدق سلمان.

٦ـ وذكر أبو داود عن عائشة أن النبى ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون، فجاءه فقال: «يا عثمان، أرغبت عن سنتى؟» فقال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب قال: «فإنى أنام وأصلى وأصوم وأفطر وأنكح النساء. فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً فصم وأفطر وصلى ونم».

٧ ـ وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة».

٨ ـ وللبخارى عن أبى هريرة أيضاً قال:

قال رسول الله ﷺ: «لن ينجى أحد منكم عمله».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

٩ ـ وعن عائشة أن النبى ﷺ قال: «إن نعس أحدكم فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه».

١٠ - ويروى عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن عائشة عن النبى ﷺ قال: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لم يقطع سفراً ولم يبق ظهراً».

وقول عائشة رضى الله عنها: إن النبى ﷺ كان إذا غلبه النوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة.

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأ من الليل».

عن أبى الدرداء يبلغ به النبى ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كان له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه».

وقيل فى قوله تعالى: **﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾**.

أى: يخلف هذا هذا، ويخلف هذا هذا، وقوله تعالى: **﴿لمن أراد أن يَذَّكَّر﴾** أى يذكر نعمة ربه عليه، فمن فاته عمل الليل عمله بالنهار، ومن فاته عمل بالنهار عمله بالليل.

وقال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون النقصان من العمل ويستحبون الزيادة فيه وإلا فشىء ديمه يقول: لا زيادة ولا نقصان.

قال: وكان إذا فاتهم شىء من الليل قضوه بالنهار.

عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

*****

لا تترك قيام الليل إلا لواجب عليك

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل».

قال ابن الخراط: واعلم أنه لا ينبغى لك أن تترك قيام الليل لنوع آخر من الخير إلا أن يكون العمل الذى تتركه له كان واجباً عليك، وفرضاً فى حقك تطلب به إن لم تفعله وتؤخذ به إن ضيعته، أو لعمل فيه نص جلى فإنه أفضل من قيام الليل.

عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام حتى أصبح فقال: «ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه».

وقد ذكر مسلم والبخارى:

عن عبد الله أيضاً، قال أبو سليمان الخطابى فى تفسير هذا الحديث: هذا مثل ضربه عليه السلام له حين غفل عن الصلاة بوقوع البول المفسد الضار فى أذنيه كقول الراجز.

عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن النبى عليه السلام طرقه وفاطمة فقال: «ألا تصلون؟» فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فإنصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾**.

وذكر مالك فى الموطأ عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

وذكره أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف وقال فيه: «نشيطاً طيب النفس قد

أصاب خيراً، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً».

وذكر مسلم من حديث سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب قال:

كان الرجل فى حياة النبى ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبى ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبى ﷺ وكنت غلاماً شاباً عذباً وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا بها قرنان كقرنى البئر، وإذا فيها أناس من قريش قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقيهما مالك فقال لى: لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل لو كان يصلى من الليل».

قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

وقال البخارى فى هذا الحديث: وجهنم مطوية كطى البئر، لها قرون كقرون البئر بين كل قرنين مالك بيده مقمعة من حديد وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت فنضج فى وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء».

وكان النبى ﷺ يوقظ عائشة على صغرها إذ ذاك توتر فى آخر الليل وكانت توتر بركعات.

و قال عليه السلام: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفى الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم قرأ: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** حتى بلغ **﴿يعملون﴾**.

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له، ومن يسألنى فأعطيه، ومن يستغفرنى فأغفر له».

وعنه عن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر».

ويروى: «حتى يطلع الفجر وينصرف القارئ من صلاة الصبح».

ذكره أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه على ما ذكره ابن مغيث فى كتاب التهجد.

ولمسلم فى هذا الحديث عن أبى هريرة أيضاً عن النبى ﷺ فيقول: «هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟».

* وفى أخرى: «ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول:

«من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟».

وذكر مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله وذلك كل ليلة».

ومن حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

وقال البخارى: «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه فى الحق فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل».

وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب

الصالحين قبلكم. وهو قربة إلى ربكم وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم» وفى رواية «ومطردة للداء عن الجسد».

وعن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة: انجفل الناس إليه وقيل: قدم رسول الله ﷺ فجئت أنظر فى الناس فلما تبينت وجه رسول الله ﷺ عرفت أنه ليس وجه كذاب، فكان أول شىء سمعته أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، أطعموا الطعام، صلوا الأرحام، صلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» وقد ذكره الترمذى أيضاً.

ومثله ما روى أبو هريرة قال: قلت: يا رسول الله إنى إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عينى فأنبئنى بشىء إذا فعلته دخلت الجنة. قال: «أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام».

وروى النسائى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى قالا: قال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

وعن شهر بن حوشب قال: إذا قام العبد من الليل تبشبشت له الأرض واستنار له موضع مصلاه، وفرح به عمار داره من مسلمى الجن واستمعوا لقراءته وأمنوا على دعائه، فإذا انقضت عنه ليلة أوصت به الليلة المستأنفة فقالت: كونى عليه خفيفة، تبهليه لساعته وارحمى طول سهره إذا قام البطالون. قال:

ثم تولى عنه ليلته وتقول عند فراقه:

استودعتك الذى استعملك فىَّ بطاعته وجعلنى لك فى القيامة شهيداً. قال: ويقول له النهار فى آخره مثل ذلك.

وعن المبارك بن فضالة قال: قال رجل للحسن البصرى: يا أبا سعيد ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تبارك وتعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله عز وجل أفضل من قيام العبد فى جوف الليل.

وعن الحسن أيضاً قال: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة هذا الليل، ونفقة هذا المال.

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: شرف المؤمنين قيامهم بالليل وعزهم الاستغناء عما فى أيدى الناس.

وقال يزيد الرقاشى: قيام الليل نور للمؤمن يوم القيامة يسعى من بين يديه ومن خلفه وصيام العبد يبعده من حر السعير.

وقال عطاء الخراسانى: كان يقال: قيام الليل محياة للبدن، ونور فى القلب وضياء فى البصر، وقوة فى الجوارح، وإن الرجل إذا قام متهجداً أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً فى قلبه، إذا غلبته عيناه ونام عن جزئه أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً.

وقال طلحة بن مصرف: بلغنى أن العابد إذا قام للتهجد من الليل ناداه ملك: طوبى لك سلكت منهاج العابدين قبلك.

وقد روى عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ وعن وهب بن منبه ـ قال: «قيام الليل يشرف به الوضيع، ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحة دون دخول الجنة».

وقال يزيد الرقاشى: بطول التهجد تقر عيون العابدين، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله عز وجل.

ويروى عن عبد الله بن سليمان العسقلانى، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً قال: حدثنى رجل من العابدين محمد قدم علينا مرابطاً بعسقلان قال: قمت ذات ليلة للتهجد على بعض السطوح، فإذا أنا بهاتف يهتف فى البحر: إليكم معاشر العابدين أبناء السالفين قبلكم قسمت العبادة ثلاثة أجزاء، فأولها قيام الليل وثانيها صيام النهار، وثالثها الدعاء والتسبيح هذا خبر القيامة فخذوا منه الحظ الأوفر. قال: فسقطت والله على وجهى مما داخلنى من ذلك.

وقال وهب بن منبه: ثلاثة من روح الدنيا: لقاء الإخوان، وإفطار الصائم، والتهجد من آخر الليل.

وروى أبو بكر بن أبى الدنيا قال: حدثنا سويد، نا على بن مسهر عن عبد

الله بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت:

قال رسول الله ﷺ :

«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس»(*).

*****

(*) راجع الصلاة ـ للخراط ـ والحديث فى إسناده «شهر بن حوشف» راجع ترجمتنا له ى تحقيق الإحياء ـ ط المنار.

بعض نماذج القائمين بالليل

من الرعيل الأول

ابن عباس «حبر الأمة»

أخبر عبد الله بن مليكة قال: عن ابن عباس:

صحبت ابن عباس رضى الله عنه من مكة إلى المدينة، فكنا إذا نزلنا منزلاً قام شطر الليل والناس نيام من شدة التعب.

ولقد رأيته ذات ليلة يقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١] فظل يكررها وينشج[٢] حتى طلع عليه الفجر.

وحسبنا بعد ذلك كله أن نعلم أن عبد الله بن عباس كان من أجمل الناس جمالاً، وأصبحهم وجهاً، فما زال يبكى فى جوف الليل من خشية الله حتى أحدث الدمع الهتون[٤] على خديه الأسيلين مجريين شبههما بعضهم بشراكى النعل[٥].

*****

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) ينشج: يبكى بصوت عال.

(٣) الدمع الهتون: الدمع المتصبب بغزارة.

(٤) خديه الأسيلين: خديه المستويين الناعمين.

(٥) شرك النعل: سير النعل.

أبو هريرة(*)

لا ريب فى أنك تعرف هذا النجم المتألق من صحابة رسول الله ﷺ .

وهل فى أمة الإسلام أحد لا يعرف أبا هريرة؟

لقد كان الناس يدعونه فى الجاهلية «عبد شمس» فلما أكرمه الله بالإسلام وشرفه بلقاء النبى عليه الصلاة والسلام قال له: «ما اسمك؟».

فقال: عبد شمس.

فقال عليه الصلاة والسلام: «بل عبد الرحمن».

فقال: نعم عبد الرحمن، بأبى أنت وأمى(١) يا رسول الله.

أما تكنيته بأبى هريرة فسببها أنه كانت له فى طفولته هرة صغيرة يلعب بها، فجعل لداته(٢) ينادونه: أبا هريرة.

وشاع ذلك وذاع حتى غلب على اسمه.

فلما اتصلت أسبابه بأسباب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه جعل يناديه كثيراً: «بأبى هر» إيناساً له وتحبباً، فصار يؤثر «أبا هر» على «أبى هريرة» ويقول: نادانى بها حبيبى رسول الله.

والهر ذكر، والهريرة، أنثى، والذكر خير من الأنثى.

أسلم أبو هريرة على يد الطفيل بن عمرو الدوسى(٣)، وظل فى أرض قومه دوس إلى ما بعد الهجرة بست سنين حيث وفد مع جموع من قومه على رسول الله ﷺ بالمدينة.

وقد جمع أبو هريرة إلى وفرة علمه وسماحة نفسه التقى والورع؛ فكان يصوم النهار، ويقوم ثلث الليل، ثم يوقظ زوجته فتقوم ثلثه الثانى ثم توقظ هذه ابنتها فتقوم ثلثه الأخير.

(*) راجع: صور من حياة الصحابة

(١) بأبى أنت وأمى: أى أفديك بأبى وأمى.

(٢) لداته: المماثلون له فى السن، وسموا كذلك؛ لأنهم ولدوا في زمن واحد.

(٣) انظر: سيرته فى ص ٥.

عبد الله بن الزبير وأمه (*)

وإذا نسى التاريخ لأسماء بنت أبى بكر مواقفها كلها، فإنه لن ينسى لها رجاحة عقلها، وشدة حزمها، وقوة إيمانها وهى تلقى ولدها عبد الله اللقاء الأخير.

وذلك أن ابنها عبد الله بن الزبير بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ودانت له الحجاز ومصر والعراق وخراسان وأكثر بلاد الشام.

لكن بنى أمية ما لبثوا أن سيروا لحربه جيشاً لجباً[١] بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى، فدارت بين الفريقين معارك طاحنة أظهر فيها ابن الزبير من ضروب البطولة ما يليق بفارس كمى[٢] مثله.

غير أن أنصاره جعلوا ينفضون [٣] عنه شيئاً فشيئاً؛ فلجأ إلى بيت الله الحرام، واحتمى هو ومن معه فى حمى الكعبة المعظمة... وقبيل مصرعه بساعات دل على أمه أسماء ـ وكانت عجوزاً قد كف بصرها ـ فقال:

السلام عليك يا أمه[٤] ورحمة الله وبركاته.

فقالت: وعليك السلام يا عبد الله... ما الذى أقدمك فى هذه الساعة، والصخور التى تقذفها منجنيقات[٥] الحجاج على جنودك فى الحرم تهز دور مكة هزا؟!

قال: جئت لأستشيرك.

قالت: تستشيرنى!!... فى ماذا؟!

قال: لقد خذلنى الناس وانحازوا عنى رهبة من الحجاج أو رغبة بما عنده، حتى أولادى وأهلى انفضوا[٦] عنى، ولم يبق معى إلا نفر قليل من رجالى، وهم

(*) راجع صور من حياة الصحابة.

(١) جيشاً لجباً: جيشاً كثيفاً جراراً.

(٢) الكمى: البطل الشجاع.

(٣) ينفضون عنه: يتفرقون عنه.

(٤) يا أمه: يا أماه.

(٥) منجنيقات: جمع منجنيق، وهو آلة حربية كانت تقذف بها الصخور ونحوها على المعاقل والحصون.

(٦)انفضوا: تفرقوا.

مهما عظم جلدهم[1] فلن يصبروا إلا ساعة أو ساعتين، ورسل بنى أمية يفاوضوننى على أن يعطونى ما شئت من الدنيا إذا أنا ألقيت السلاح وبايعت عبد الملك بن مروان، فما ترين؟

فعلا صوتها وقالت: الشأن شأنك يا عبد الله، وأنت أعلم بنفسك. . . فإذا كنت تعتقد أنك على حق، وتدعو إلى حق، فاصبر وجالد كما صبر أصحابك الذين قتلوا تحت رايتك. . .

وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت: أهلكت نفسك، وأهلكت رجالك.

قال: ولكنى مقتول اليوم لا محالة.

قالت: ذلك خير لك من أن تسلم نفسك للحجاج مختارا، فيلعب برأسك غلمان بنى أمية.

قال: لست أخشى القتل، وإنما أخاف أن يمثلوا بى.

قالت: ليس بعد القتل ما يخافه المرء، فالشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ. . . فأشرقت أسارير[2] وجهه وقال: بوركت من أم، وبوركت مناقبك[3] الجليلة؛ فأنا ما جئت إليك فى هذه الساعة إلا لأسمع منك ما سمعت، والله يعلم أننى ما وهنت ولا ضعفت، وهو الشهيد على أننى ما قمت بما قمت به حبا بالدنيا وزينتها، وإنما غضبًا لله أن تستباح محارمه. . . وها أنا ذا ماض إلى ما تحبين، فإذا أنا قتلت فلا تحزنى علىّ وسلمى أمرك لله. . .

قالت: إنما أحزن عليك لو قتلت فى باطل.

قال: كونى على ثقة بأن ابنك لم يتعمد إتيان منكر قط ولا عمل بفاحشة قط، ولم يَجُرْ فى حكم الله، ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد[4]، ولم يكن شىء عنده آثر من رضى الله عز وجل.

---

(١) جلدهم: صبرهم واحتمالهم.

(٢) أسارير وجهه: محاسن وجهه.

(٣) مناقبك: خلالك وخصالك وشمائلك.

(٤) المعاهد: الذمى.

لا أقول ذلك تزكية لنفسى؛ فالله أعلم منى بى، وإنما قلته لأدخل العزاء[1] على قلبك.

فقالت: الحمد لله الذى جعلك على ما يحب وأحب.

اقترب منى يا بنى لأتشمم رائحتك وألمس جسدك، فقد يكون هذا آخر العهد بك.

فأكب عبد الله على يديها ورجليها يوسعهما لثماً[2]، وأجالت هى أنفها فى رأسه ووجهه وعنقه تشممه وتقبله، وأطلقت يديها تتلمس جسده، ثم ما لبثت أن ردتهما عنه وهى تقول:

ما هذا الذى تلبسه يا عبد الله؟!

قال: درعى.

قالت: ما هذا يا بنى لباس من يريد الشهادة.

قال: إنما لبسته لأطيب خاطرك، وأسكن قلبك.

قالت: انزعها عنك، فذلك أشد لحميتك[3] وأقوى لوثبتك وأخف لحركتك، ولكن إلبس بدلاً منها سراويل مضاعفة[4]، حتى إذا صرعت لم تنكشف عورتك.

*****

نزع عبد الله بن الزبير درعه، وشد عليه سراويله، ومضى إلى الحرم لمواصلة القتال وهو يقول: لا تفترى عن الدعاء يا أمه.

فرفعت كفيها إلى السماء وهى تقول: (اللهم ارحم طول قيامه وشدة نحيبه فى سواد الليل والناس نيام).

اللهم ارحم جوعه وظمأه فى هواجر المدينة ومكة وهو صائم...

---

(١) العزاء: الصبر.

(٢) يوسعهما لثماً: يملؤهما تقبيلاً.

(٣) أشد لحميتك: أقوى لنخوتك وشجاعتك.

(٤) مضاعفة: طويلة.

اللهم ارحم بره بأبيه وأمه . . .

اللهم إنى قد سلمته لأمرك، ورضيت بما قضيت له؛ فأثبنى عليه ثواب الصابرين.

لم تغرب شمس ذلك اليوم إلا كان عبد الله بن الزبير قد لحق بجوار ربه.

ولم يمْضى على مصرعه غير بضعة عشر يوماً إلا كانت أمه أسماء بنت أبى بكر قد لحقت به، وقد بلغت من العمر مائة عام، ولم يسقط لها سن ولا ضرس، ولم يغب من عقلها شىء.

*****

أفراح الموحدين بلذة القيام بالليل

بين يدى رب العالمين

قد ذكر الله عز وجل المجتهدين فى كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١).

يروى عن الحسن أنه قال: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم اجلسوا فى الدعاء والاستكانة والاستغفار.

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾(٢) . وقال عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣) أى تنبو عن الفرش فلا تستقر عليها ولا تثبت فيها، لخوف الوعيد ورجاء الموعود. ثم قال سبحانه: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤) أخبر عز وجل أنه يؤتيهم قرة أعينهم وغاية أملهم: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، بما تحملوه من سهرهم وما تركوه من لذيذ نومهم.

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٥).

المعنى: هل يستوى من هذه صفته مع من نام ليله، وضيع نفسه، غير عالم بوعد ربه ولا بوعيده.

وصلى النبى ﷺ حتى تفطرت قدماه، أى تشققت، فقيل له: أتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»(٦).

---

(١) الذاريات: ١٧، ١٨.
(٢) الفرقان: ٦٤.
(٣) السجدة: ١٦.
(٤) السجدة: ١٧.
(٥) الزمر: ٩.
(٦) الحديث: صحيح رواه البخارى فى صحيحه، ومسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده وغيرهم.

ولعل قائلاً يقول: هذا على طريق المبالغة والتأكيد وليس على طريق الحقيقة، فيقال له: بل هو على الحقيقة وهو على ظاهره، حتى يأتى ما يمنع منه وما ينقضه. فإن قال: لم يكن النبى ﷺ يصلى الليل كله حتى يصيبه هذا. قيل له: نعم كان ﷺ يصلى منه كثيراً(*).

قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا. نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾(١).

فهذا وقته الذى كان يقوم فيه ﷺ وكان يصلى إلى السحر، وإلى قرب الفجر، وكان عليه السلام يطول ويخفف.

وإن كنت أخى الموحد ممن لا يتمكن له نوم بالنهار لكد فى المعيشة أو لغير ذلك من أشغال الدنيا ومحنها، وما ابتلى الإنسان به منها، فاجتهد أن تصلى ولو ركعتين خفيفتين قبل الفجر، فإن فيهما بركة، والقليل من صلاة الليل كثير.

قال أبو محمد الجريرى: قصدت الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ فوجدته يصلى، فأطال جداً، فلما فرغ قلت له: قد كبرت ووهن عظمك ورق جلدك وضعفت قوتك، فلو أقصرت على بعض صلاتك ـ فقال: اسكت، طريق عرفنا به ربنا لا ينبغى لنا أن نقتصر منه على بعضه. والنفس ما حملتها تتحمل، والصلاة صلة، والسجود قربة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾(٢)، ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد، ثم أنشد:

صَبُرْتُ عن اللذات حتَّى تَولَّت ... والزمْتُ نفسى هَجْرهَا فَاستمرت
وكانتْ على الأيام نفسى عزيزةً ... فلمَّا رأتْ صبرى على الذُّلِّ ذَلَّتِ
وَمَا النفسُ إلا حيثُ يجعلُهَا الفتَى ... فإنْ تُوقتْ تَاقَتْ وإلا تسلَّتِ

وعن ربيعة بن كعب الأسلمى قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته، فقال لى: «سل». فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة. فقال:

(*) راجع الصلاة ـ للخراط.
(١) المزمل: ١ ـ ٤.
(٢) العلق: ١٩.

«أو غير ذلك؟» فقلت: هو ذاك. قال: «فأعنى على نفسك بكثرة السجود»[1].

يقول الخراط: فها هو عليه السلام قد أمره بالسجود، ولم يحد له فيه حداً، ولا ذكر له فيه عدداً، إنما أمره بالتكبير منه والازدياد، ورغبة فى الحد فيه والاجتهاد.

وكذلك حديث البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، فوعزتى لئن سألنى لأعطينَّه، ولئن استعاذنى لأعيذنَّه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[2].

ويروى أن عبد الله بن مسروق القيروانى ـ وكان أحد الفقهاء ـ زار أبا جعفر القمودى ـ وكان أحد العابدين ـ فوجده يصلى، فأطال أبو جعفر الصلاة وأطال الرجل القعود، فلما خرج قال له: يا أبا جعفر، بأقل من هذا التعب وهذا التكلف تصل إلى المقصود، وتدرك المطلوب إن شاء الله ـ فقال له: يا مسكين، لو ذقت، الله أكبر، ثم عاد إلى صلاته يقول: لو ذقت لذتها ما لمت فى التعب فى الاستكثار منها.

وقال أبو سليمان الدارانى: أهل الليل بليلهم الزمن أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا، ولو لم يعط الله تعالى أهل الليل فى ثواب صلاتهم إلا ما يجدون من اللذة فيها لكان الذى أعطاهم أفضل من صلاتهم.

وقال بعض العلماء: ليس فى الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل الليل من طيب الصلاة ولذة المناجاة.

وأنشد بعضهم فى ظلمة الليل:

---

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم فى صحيحه.

(٢) الحديث: صحيح رواه البخارى فى صحيحه.

فى ظُلْمة الليل للعباد أنْوَارُ منها شُموسٌ ومنها فيه أقمارُ
تَسْرى قلوبهم فى ضَوْئهنَّ إلى ذاك المقام ومَولاهمْ لَهمُ جارُ
يَرْقون فى درجاتٍ كلها قُدْس طوْراً فَطوْراً وذاكَ القُدْسُ أطوارُ
فينزلـــون رِيَاضاً جَـــمَّةً أُنفـاً فيها مـــن العلم أشْجارٌ وأنْهَارُ
فيأكـلـون ويشـــربُون صـــادعَة عليهم بضرُوبُ اللَّحْن أطْيَارُ
يَا طيب مأكلهمْ وطيب مَشْربهمْ وطيب ما نزلوا وطيب ما شاؤُوا
هُوَ اللذاذُ وإنْ عَزَّت مطالبُه وهى الأمانى وإنْ شطت بها الدَّارُ
فازوا بها ورجالُ الله فائزة وفى العناية تخصيص وإيثارُ
أكرمْ بهم من رجال لَوْ رأيتهمُ وللظلام على الأجْفَانِ أسْتَارُ
رأيت أَشْباحَ قوْم مُلئتْ عجباً ماء يفيضُ وفى ينبوعه نارُ
خُمْص البطون من الدنيا كأنَّهمُ خَيْلُ الرِّهَانِ وهَذى الدار مِضْمَارُ
تخالفهم ويك موتى لا حِرَاكَ بهم وهم مع الله إقبال وإدْبَارُ
إنْ ينطقوا فتلاوات وأذكار أو يسكُتوا فاعتبارات وأفكارُ
وربما بهت الأقوامُ من عجب وفى القلوب أعاجيب وأخبارُ
مستيقظين لذى الذكرى فكلهم لذا التذكر أسماع وأبصارُ
حَدِّثْ حديثَهُم لله دَرُّهمُ ففى حديثهم شُربٌ وإسْكارُ
مروا إلى الله منشوراً لواؤهُم تحت العجاج وجند الله أنصارُ
مُسْتعصمينَ بمولاهم فلو قذفُوا فى جَاحِمِ النَّارِ لم تقْربهم النارُ

ويقول الخراط: وقد كان طوائف من الصالحين يستقبلون الليل فيهولهم طوله، فيذهب عنهم وما قضوا منه وطراً، ولا نالوا فيه إرباً، وهل كان هذا إلا لما يجدون من نفحات الرحمة، ويتنسمون من نسيم القربة، فلا يشتبهن عليك رحمك الله فتقعد أنت بطالاً بالنهار، جيفة ملقاة بالليل تقول: لا أصلى حتى أنشط للصلاة،

ولا أعمل حتى ألتذ بالعمل. نزاعاً منك إلى أولئك المجتهدين، وانتظاراً منك لنيل منزلتهم والارتقاء إلى درجتهم بالتمنى والرجاء الذى هو الغرور.

فإن أولئك لم يصلوا إلى تلك الدرجة إلا بعد قطع قلوبهم ونهك نفوسهم، وتركهم ما يحبون، وبتحملهم ما يكرهون وما يبغضون.

وكان بعض الصالحين يأتى فراشه فيضع يده عليه ويقول: والله إنك للين، وإنك لوثير، وإن الرقاد عليك لشهى، وفراش فى الجنة ألين منك وأشهى، ثم يدعه ويقوم إلى صلاته، فإذا أعيا فعل مثل ذلك أيضاً، ثم عاد إلى صلاته، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

ويروى عن الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه قال: إنى لأستقبل الليل فيهولنى طوله، فأفتتح القرآن فيفرغ وما قضيت نهمتى.

وقال أبو حازم: ما مرت بى ليلة إلا وأنا لم أقض نهمتى.

ولما نزل الموت بأبى الشعثاء بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم أشتَفِ من قيام الليل.

وكان محمد بن المنكدر كثير الصلاة والبكاء فقالت له أمه: يا بنى، إنى لأشتهى أن أراك نائماً، فقال لها: إنى لأستقبل الليل فيهولنى فيدركنى الصبح وما قضيت حاجتى. فاستعانت عليه بأبى حازم فدخل عليه فقال له: إن قيامك الليل يشق على أمك فإن رأيت أن تخفف فقال له: يا هذا، إن الليل إذا دخل علىَّ هالنى فأفتتح البقرة فينقضى الليل وما انقضت نهمتى.

قال له: فبكاؤك؟ قال: أبكتنى آية من كتاب الله تعالى. قال: أى آية؟ قال: قوله سبحانه: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1] فانهار أبو حازم فى البكاء معه، فقال أحد أقارب ابن المنكدر لأبى حازم: جئنا بك كى تهون عليه، فاحتجت أنت من يهون عليك[2].

---

(١) الزمر: ٤٧.

(٢) راجع: الحلية لأبى نعيم، وصفة الصفوة ٩٠٨/٢.

وروى عن شداد بن أوس صاحب النبى ﷺ أنه كان إذا أتى فراشه يتقلى عليه كالحبة فى المقلى، ثم يقول: اللهم إن ذكر جهنم منعنى النوم، ثم يقوم إلى صلاته[1].

وكان بالبصرة غلام اسمه صهيب، وكان يصلى الليل كله، فقالت له سيدته: يا صهيب، إن صلاتك بالليل قد آذتنى فى شغلك بالنهار. فقال: يا سيدتى، إن صهيباً إذا ذكر جهنم لا يأتيه النوم.

ويروى أن بعض الصالحين قدم من سفر فوطئ له فراش، فوجده وثيراً ليناً فنام عليه حتى أصبح، وكان له حزب من الليل ففاته. فقال: لا جرم لا أنام على فراش بعد هذا أبداً.

وأنشد بعضهم:

ألا فَانْزِلْ عن الفُرش الوَثيرة ... وَإنْ باتتْ بُخردها مُنيَرهُ
وَوَطئْ مِنْ تُرابِ الأرض فُرُشاً ... لوجْهِكَ وَالدُّجَى مَرْخ سُتُوره
وأرْسِلْ دَمْعَ محزُونِ مُصابِ ... أخــى حُــزْن مُصيبتُه كبيره
تغلغل فى الذنوب وفى الخطايا ... وأقدم فى العيان وفى السَّريره
فَبَات بقلْبه منهــا اضطــرب ... وبين شؤونه عــين غــزيرة
وإن يُطْفأ سعيـر فـى فؤادى ... فَذكْراهُ مُؤجـجـة سَـعيره
وَمَنْ يحلُلْ بوادى الذَّنْب أنَّى ... تبيت لــه بِــهِ عَيْن قريره

وروى أن إبليس تبدى ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق؟ فقال له: هذه الشهوات التى أتصيد بها بنى آدم. فقال له: هل وجدت لى فيها شيئاً؟ قال: نعم - شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة بالليل. فقال يحيى عليه السلام: لا جرم لا أشبع بعدها أبداً. فقال إبليس: لا جرم، ولا

(١) راجع: الحلية - مصدر سابق ' ٢٦٤.
(٢) راجع: الإحياء لأبى حامد بتحقيق المؤلف.

نصحت أحداً بعدها أبداً[١].

ويروى أن يحيى بن زكريا - عليهما السلام - شبع ليلة من خبز الشعير، فنام عن صلاته حتى أصبح، فأوحى الله عز وجل إليه: «يا يحيى، أوجدت داراً خيراً لك من دارى؟! أم وجدت جواراً خير لك من جوارى؟! فوعزتى لو اطلعت إلى الفردوس من إطلاعة لذاب شحمك، ولزهقت نفسك اشتياقاً - يعنى إليها - ولو اطلعت إلى النار إطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المسوح»[٢].

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الربيع بن خثيم لأبيها الربيع: يا أبت ما لى أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فقال لها: يا بنية: إن أباك يخاف البيات، يعنى الموت، وكان الربيع هذا من القائمين بالليل.

وكان عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - إذا رآه قال: ﴿وبَشِّرِ المخْبتين﴾ أما والله لو رآك محمد ﷺ لأحبك[٣]، ويروى: لفرح بك.

ولما رأت أمه كثرة بكائه واجتهاده وما يصنع بنفسه قالت له: يا بنى، لعلك قتلت قتيلاً فأنت تخاف أن تقتل به؟ قال لها: نعم. قالت: ومن هو حتى نطلب إلى أهله أن يغفروا لك ويتركوا حقهم قبلك؟ فوالله لو رأوا ما تلقى لرحموك ولرقوا لك. فقال: قتلت نفسى. يريد قتلها بالمعاصى والذنوب.

ويروى أنه حفر فى بيته قبراً، فكان إذا وجد فى نفسه قساوة دخل فيه، وكان يمثل نفسه أنه قد مات، وندم وسأل الرجعة فيقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُون. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[٤] ثم يجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا ربيع، قد رجعت يا ربيع، فيرى فيه ذلك أياماً، أى يرى فيه العياءة، والاجتهاد والكآبة والحزن.

وكان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ إذا هدأت العيون قام،

---

(١) راجع: الإحياء - مداخل الشيطان - بتحقيق المؤلف، وتلبيس إبليس لابن الجوزى، والحلية لأبى نعيم.
(٢) راجع: الإحياء - بتحقيق المؤلف - باب مداخل الشيطان.
(٣) راجع: صفة الصفوة لابن الجوزى، والحلية لأبى نعيم.
(٤) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

وقال ذو النون المصرى - رحمه الله -: كنت مرابطاً بالإسكندرية مع جماعة من إخوانى وكان فينا فتى لا ينام، وكان فى أعلى المحرس، فإذا أجنه الليل أشرف علينا ثم نادى:

أَلاَ فَتَى يَقْبَلُ مِنْ نَاصح ... يُخْبِرهُ بالحقِّ إذْ يَنْصحُ
فإنَّ جَنَّاتِ العلَى زُينتْ ... لمن بُهجران الكرَىَ يَسْمَحُ
لِكُلِّ عبدِ قَامَ فى لَيْلة ... عَنْ بَابِ ذِى الإفْضَال لا يَبْرحُ

فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح(١).

ثم ينصرف إلى محرابه، فإذا انتصف الليل أشرف علينا ثانية، ثم نادى:

قدْ أدبرَ الليلُ وطَابَ الكرَى ... وقام مَنْ يبغ الرِّضَا والغِنَا
وَبَانَ للمتْعب رَاحاتُهُ ... واستعذبَ الخدمة لما خلا
يشكـو إليـه نفسَـهُ أمَّارَةً ... بالسُّوءِ تبغـى الـرَّدَى

ثم ينصرف إلى محرابه، حتى إذا انفجر عمود الصبح أشرف، ثم نادى:

ليَهْنكُمْ يَا خوتى كُلُّكُم فقدْ ... مَضَى الليلُ وَقَدْ رَاحَا
لا ضَيَّعَ اللهُ لكُمْ سَعْيكُمْ ... وَزَادكُمْ برا وإصْلاحًا
قُومُوا إلى فَرْضِكُمْ واعْجلُوا ... هَذَا عمُودُ الصُّبح قدْ لاحَا

وفى بعض المواعظ: يا بن آدم، بقيام الليل يعدو أجرك، ويربى ذندك، ويثبت مجدك، فإياك أن تهد بالكسل بنيانه، وتسقط الملل إيوانه، فيخرب منك ما لم يعمر، ويتصدع منك ما لا يجبر، وتخسر من بضائعك أعم ما يخسر، وأنشد بعضهم:

لَو يعلم الراقدُ ما فَاتَه ... وأى مَجْد هدَّ أبْياتَهْ
لَحرَّمَ النَّوْمَ على جفْنِه ... وَسَدَّ بالخدمة أوْقَاتَهْ

---

(١) راجع: الإحياء بتحقيق المؤلف.

وأرسلَ الدمعة مَمْزُوجةَ على مبيت طالَ مَا بَاتَهْ
ضَيَّع فيه الحظَّ منْ ربِّهِ ولَمْ يُبَالِ بالذى فَاته
مِنْ درجات ثُبِّتَتْ فى العُلَى تحكم فى الفردوس إثباته
وَمَنْ يَرُمْ تلك المَعَالى غَداً يطل إليها اليومَ إعناته

ويروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال لمعاوية بن أبى سفيان: لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف لى بالنوم - مع هذين؟!

قال ابن الخراط[1]: يريد رضى الله عنه أنه كان لا ينام إلا قليلاً، ولا ينام حتى يغلبه النوم، والنوم غالب.

وكان الحسن بن حى وأخوه على بن حى وأمهما يقومون بالقرآن كل ليلة فماتت أمهما فكان الحسن وعلى يقومان به، ثم مات على فكان الحسن يقوم به، ورث عنهما ما كان لهما من الصلاة كما يرث الإنسان مال أبيه وأخيه.

واشترى الحسن هذا جارية من قوم، فلما كان من جوف الليل قامت، فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة، فقالوا لها: أصبحنا، أطلع الفجر، فقالت: أو ما تصلون إلا الصلاة المكتوبة. ثم مرت إلى سيدها فقالت له: يا سيدى بعتنى من قوم لا يصلون بالليل ردنى فردها.

وقال عبد الرحمن بن يزيد: كان عطاء الخراسانى يحيى الليل، فإذا مضى منه ثلثه أو أكثر نادى: يا عبد الرحمن بن يزيد، يا فلان، يا فلان، قوموا فتوضؤوا وصلوا، فإن صلاة هذا الليل أهون من شرب الصديد، ولبس مقطعات الحديد، الإسراع الإسراع النجا النجا. زاد غيره فى هذا: فإذا قال هذا سمعت من هاهنا متوضئاً، ومن هاهنا مصلياً، ومن هاهنا باكياً.

كان صلة بن أشيم من العباد المجتهدين، كان من أهل الليل والنهار، قال والد

(١) راجع: كتاب الصلاة والتهجد لابن الخراط ص٣١٥.

العبدى: كنت فى غزوة كابل وكان فى الجيش صلة بن أشيم، فلما أمسينا راقبت أن أبصر ما يوصف عنه من المجاهدة، فلما هدأت العيون خرج عن الجيش وكان فى طرف منه، فتبعته فتوضأ، ثم وقف يصلى فجاء أسد فربض بين يديه، فصعدت شجرة خوفاً منه، فلم يزل كذلك يصلى إلى قريب من الصبح والأسد رابض بين يديه، فلما سلم قال: أيها الأسد: انصرف واطلب الرزق من عند غيرنا، فانصرف الأسد، ثم سجد سجدة طويلة حتى حسبت أنه قد مات فى سجوده.

ثم رفع رأسه وهو يبكى بكاء الثكلى ويتمايل كالسكران، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ولا أعمل فى القلوب منها، ثم قال: إلـهى إن طائفة استجاروا بك من نارك فأجرتهم، وطائفة سألوك جنتك فأعطيتهم، وطائفة طلبوك فلم يرضوا بغيرك وقالوا: من طلب المخلوق بقى مع المخلوق، فكن لهم كما أرادوا ولا تصحنى عن شكر محبتك إلا بمشاهدتك، ولا تختم لى حلاوة عبادتك إلا بمجاوزتك.

ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وأنا وبى من فترة السهر وكسله ما الله به عليم[1].

وقد قيل: يا ابن آدم، اهجر فراشك، فإن الفرش غداً أمامك. وأنشدوا:

وكان منصور بن المعتمر من القانتين، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكانت

اهْجُر فِراشَكَ جَوْفَ الليل وارم به ... ففى القُبُورِ إذَا وافيْتَها فُرُشُ

مَا شِئتَ إنْ شِئْتَهَا فُرُشا مُرَقَّشةً ... أوْ رمضةً فوقها المسمومة الرُقشُ

هَذا عليه قرير العين نَائِمُهَا ... وَذَا عليه سخين العين يُنْتَهشُ

شتَّان بينهُمَا وبين حَالِهما ... هَلْ يَسْتوى الرَّىُّ فى الأحشاءِ والعطشُ

فبادر الصبح أن تغشى طلائعه ... ويلتقى اللحيان الروم والحبش

كمْ فاز دونَكَ باللذَّاتِ من رَجُل ... وافى به دُلجَ الأسْحَارِ والغبش

(١) راجع: الصلاة والتهجد ـ مصدر سابق ونقله من الحلية لأبى نعيم والزهد لابن المبارك.

قاموا ونمْنَا وكُل فى تَقَلبه	لنفسه جَاهداً يَسْعَى ويحْتوشُ
ذكّوا نُفُوسَهُمْ بكلِّ صالحةِ	وطَيّبوهَا فلا عيب ولا وقش

له جارة تصعد إلى سطح لها كل ليلة ومعها ابنة لها جارية بكر، وتصعد بعدما ينام الناس وتنزل فى آخر الليل، وكانت الجارية ترى منصورَ قائماً يصلى، فلما مات فقدته، فقالت لأمها: يا أماه، ما فعل الجذع الذى كان قائماً هنالك؟ فقالت لها: يا بنية، ما كان جذعاً، إنما كان منصور بن المعتمر، كان يحيى الليل كله بركعة على قدم، وكان يحيى كل ليلة. فقالت لها: يا أماه، بلغت به العبادة والفرق من النار هذا المبلغ؟ وأنا أتعاهد هذه القائمة منذ كذا وكذا، وأنت تقولين: هو منصور. فما فعل؟ ما لى لا أراه؟ قالت لها: مات ودفنوه رحمه الله.

قالت لها: يا أماه، انطلقى فاشترى لى مدرعة من شعر أتعبد فيها لله عز وجل، فوالله لا يجتمع رأسى ورأس رجل أبداً، هذا منصور رجل لم يكن ينام الليل عشرين سنة، فرقاً من النار. اشترى لى. فاشترت لها مدرعة من شعر، وكانت لها أخت فساعدتها على العبادة، فتعبدتا عشرين سنة تقومان الليل وتصومان النهار حتى ماتتا رحمة الله عليهما.

وكان همام بن الحارث من القائمين بالليل، كان لا ينام إلا هنيهة ينامها جالساً إذا غلبه النوم وكان يقول فى سجوده: اللهم اشفنى من النوم باليسير، واجعل سهرى فى طاعتك:

يَا رَاقدَ الليل عَلَى طُولِه	كَــمْ مِــنْ أهيم لا يرقُدُ
قد شردَ النومُ على أجفانِه	خوف به يــوم الفتى يَشْردُ
هَيَّجَهُ مِــنْ رَبِّهِ موعــد	مُنْتَظر مــا مثلــه موعــدُ
فبــات فــى أضْلُعه جــمرة	يُوقدُهَا مِنْ ذكرهِ توقدُوالدمعُ
ودَمْعــهُ ينــزلُ مَمْــزُوجة	قـــد يمــزجُــهُ المكمدُ

يَا مُوقدُ النَّارِ بذَاتِ الغضى — دُونَك ناراً أَيْنَ تكُنْ توقَّدُ
دُونَك ناراً فى حَشَا وَالِهٍ — إنْ خمدتْ نَار فَلاَ تَخْمدُ
وأنت يا غافِل فى نومةٍ — مَا نَامَها ذُو نهية أبد
وَيْكَ يتقظ فَسِهَامُ الرَّدَى — تقصد مِنْ نفسكَ ما تقصِدُ
ولْتَقْطعْ الليلَ إِذَا مَا دَجَا — تَقْرأ أوْ تركعُ أو تسجُدُ
وإنْ نفت من جوفهِ نَوْمة — فَرُبَّمَا فَاتكَ مَا تَجهدُ
واصبِرْ مع اللهِ عَلَى فَقْدهَا — أهْون شىء نَومة تفقد

*****

من أخبار النساء

العابدات فى قيام الليل[1]

كانت حبيبة العدوية من العابدات المجتهدات، وكانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، وقالت: إلـهى نامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وأرسلت عليها حجابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك. ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إلـهى هذا الليل قد أدبر، وهذا الفجر قد أسفر، فيا ليت شعرى هل قبلت منى ليلتى فأهنأ، أم رددتها على فأعزى فوعزتك لهذا دأبى، ولو انتهرتنى من بابك لما برحته لما وقع فى نفسى من كرمك.

وكانت عجردة من العابدات، وكانت تحيى الليل كله، وكانت عمياء فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليل، يستبقون إلى رحمتك، ويسارعون إلى مغفرتك، فَبِكَ أسألك إلـهى لا بغيرك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين، وأن ترفعنى لديك فى درجة المقربين، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين، وأنت أرحم الرحماء، وأكرم الكرماء، وأعظم العظماء. ثم تخر ساجدة، فلا تزال تبكى وتدعو حتى يطلع الفجر.

يا راقد الليل ملء مقلته ... وَمَا كذا ذو بصيرة رَقَدَا
هَلْ أنتَ مِنْ صَرْفِهِ على ثقةٍ ... مِنْ أنْ ترى غُرَّةَ الصبَّاح غَدَا
أوْ هلَ تخلَّصْتَ مِنْ مكَارهِه ... إنْ هُوَ إيَّاكُمْ بها قَصَدَا
هَيهاتَ كَمْ نائم قدْ أقْصدهْ ... فى نَومِه ذَاكَ منه سَهمُ رَدَا
فَلَمْ يَفِقْ مِنْ لذيذِ رَقْدتهِ ... إلا إلى غُصَّةٍ لغير مَدا
ولَم يجد من جميع ما ذَخَرتْ ... يداه إلا تنفُس الصُّعَدا
وحسرة فى الضلوع قَدْ صدَعتْ ... أكْباده عَند ذَاكُمْ كَمَدا

---

(١) راجع: الصلاة - مصدر سابق - لابن الخراط.

فيا نَؤُومًا والموت يطلبه قَدْ مَدَّ رِجْلا لأخذه ويدا
ويْكَ يَيَّقظْ والليُل فى سَعَةٍ والنومُ فَوْقَ الجفُونِ قَدْ ركَدا
واقدحْ بجنبيك نَار تذكرةٍ تأكُل مِنْكَ الفؤادَ والكبدا
وامزجْ بخدَّيْك دمعةً بدم من قلب حرَّان فارقَ الجلَدا
قد ترك الدار منه مغفرة وأوحش الأهل منه والولدا
وَاضْرعْ لمن جُودُه ونَائلُه جَارٍ على الخَلْقِ دائماً أبدَا
فَلَيس إلا رَجَاؤُهُ أمَلا وليسَ إلا جَزاؤهُ مُعتمدا

وكانت معاذة العدوية تحيى الليل كله، وكانت تلبس فى البرد ثياباً رقاقا ليصيبها البرد فيمنعها النوم، وكانت إذا جاءها الليل قالت: هذه ليلتى أموت فيها، فما تنام فيها فإذا غلبها النوم جالت فى الدار وهى تقول: يا نفسى، النوم أمامك، لو قدمتٍ لطالت رقدتك فى قبرك، إما على حسرة أو سرور.

ويروى أنها لم تتوسد فراشاً بعد زوجها أبى الصهباء حتى ماتت، وكانت تقول: عجبا لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد فى ظلمة القبور.

وقالت عبدة بنت أبى سؤال ـ وكانت من خيار إماء الله: كانت رابعة العدوية تصلى بالليل، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر. فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها: ويلك يا نفسى، إلى كم تنامين؟ وإلى كم ترقدين؟ أوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا بصرخة النشور.

قالت عبدة: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتنى فقالت: يا عبدة، لا تؤذنى بموتى أحداً، وكفنينى فى جبتى هذه ـ لجبة من شعر كانت تصلى فيها من الليل ـ فكَفَنَّاها فى تلك الجبة، وفى خمار صوف كانت تلبسه ـ رحمة الله عليها.

وكانت منيفة العابدة إذا هجم الليل قالت: يا نفسى، قد جاء سرور المؤمنين، فتقوم فى محرابها كأنها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة

قامت تصلى فهى فى صلاة إلى العصر، فإذا صلت العصر نامت، فكان ذلك دأبها. فقيل لها: لو جعلت هذه النومة بالليل كان أهدأ لبدنك، فقالت: والله لا أنام فى ظلمة الليل أبداً. فكان ذلك دأبها أربعين سنة حتى ماتت - رحمة الله عليها، وكانت تسكن البحرين.

وكانت عجردة العابدة إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم دخلت محرابها فصلت إلى السحر، ثم قعدت تدعو إلى الفجر، فقال لها بعض أهل الدار: لو نمت شيئاً. فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعنى أن أنام.

*****

المرأة العابدة

جاء موقوفًا على اليافعى: أن امرأة من بنى إسرائيل كانت تصوم النهار وتقوم الليل لله الواحد القهار سكنت بجوار قصر ملك ظالم . . وكانت دارها تشين قصر الملك ، وكلما را م الملك منها أن تبيع له الدار أبت أن تبيع له ـ (وكأنها كانت تقول فى نفسها: حتى إذا نظر الله إلى قصر الظالم اشتد غضبه وإذا نظر إلى دارى رضى لأننى أُكْثِرُ من ذكر الله) ـ وخرجت ذات يوم فى سفر، فأمر الملك بهدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت: من هدم دارى؟ قيل لها: الملك. فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت: إلهـى وسيدى ومولاى : غبت أنا وأنت حاضر للضعيف معين، وللمظلوم ناصر، ثم جلست تبكى، فخرج الملك فى موكبه، فلما نظر إليها قال لها: ما تنتظرين؟

قالت: خراب قصرك. فهزأ بقولها وضحك منها. فقامت الليل تدعو عليه، فلما جَنَّ الليل خُسِفَ به وبقصره. وقام الناس فى الصباح فرأوا مكتوباً على الجدر المحطمة:

أتهزأ بالدعـــاء وتـــزدريه ... وما يدريك ما صنع الدعاء؟
سهام الليل لا تخـطئ ولكن ... لها أَمَدٌ وللأمدِ انقضاء
وقد شاء الإلـه بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

*****

المرأة الصالحة والبينة

امرأة صالحة - كانت تقوم الليل، تناجى ربها، وتتفكر فى آياته ومخلوقاته، مات زوجها بمدينة «بلخ» فانتقلت فى مدينة «سمرقند» بعد وفاة زوجها، فجعلت أولادها فى المسجد، وخرجت تطلب عملاً لا حرمة فيه تقتات منه هى وأولادها، لكنها لم تجد، فرأت كبير البلدة من المسلمين فقالت له أنا امرأة مسلمة شريفة، وأريد منك طعاماً لأولادى. لكن الرجل كان بخيلاً - فقال لها: أقيمى عندى البينة على أنك مسلمة شريفة. قالت وكيف وأنا غريبة ولا أعرف أحدًا هنا ومعى أطفالى الصغار؟ فأعرض عنها. فرآها مجوسى من أهل ملك البلدة وهى لا تعلم أنه مجوسى، فأخبرته بأمرها - فأكرمها وأخذها إلى داره هى وأطفالها. فَلمَّا كان الليل (قامت تصلى بالليل وتقرأ القرآن) - سمع الرجل وأهله منها القرآن فعجبوا ثم اجتمعوا - (الرجل وزوجته وأولاده) - حولها - وقالوا لها: أخبرينا عن الإسلام، فأخذت تكلمهم عن الدين ، فى هذا الوقت نام الرجل للمسلم البخيل الذى رفض ضيافتها رأى النبى ﷺ فى منامه وبجواره قصر فقال: يا رسول الله: لمن هذا القصر؟ فقال النبى ﷺ: لرجل مسلم موحد. فقال: أنا مسلم موحد. فقال له النبى ﷺ: أقم عندى البينة على أنك مسلم موحد. قال: أنا مسلم يا رسول الله قال له النبى ﷺ أتتك المرأة المسلمة الشريفة تسألك طعامًا لأولادها فتقول لها: أقيمى عندى البينة!واستيقظ الرجل من نومه حزينًا يسأل عن هذه المرأة ، فعلم أنها عند المجوسى، فذهب إليه وقال له: أريد المرأة السلمة. قال له المجوسى: لا. فقال له: أعطنى المرأة وخذ ألف دينار. فقال له المجوسى: والله لا أبيع قصرًا بين يدى رسول الله بألف دينار، وما نمت البارحة حتى أسلمت أنا وأهل بيتى جميعًا على يديها، ورأيت مثل ما رأيت أنت. وقال لى النبى ﷺ: «أنت وأهلك فى الجنة».

*****

العابدة الطبرية

وكان بطبرية امرأة يقال لها « زينب» غلبها النوم فى بعض الليالى - ولم تَسْتطعْ قيام تلك الليلة فسمعت قائلا يقول:

صلاتك نور والعبادة نورٌ　　فقوى فصلى والعباد رقود

فقامت فصلت، وحدث يومًا أن إندق أصبعها - (أى قطع) - فاجتمع عندها الأهل والأقارب يعزونها فى اصبعها، فشخصت بصرها إلى السماء وقالت: لذة الثواب شغلتنى عن وجع الأصبع - ثم جَنَّ الليل - وأرادت أن تصرف الناس من المجلس حتى تتمكن من الصلاة فقالت: أيها الناس : وهب الله لى ولكم الرضا والعفو عَمَّا مضى، وقوموا نخدم من الطريق إليه غدًا.

العابدة المباركة

قال عبد الله الواسطى - رحمه الله- رأيت امرأة على عرفات وهى تقول وتكرر: ﴿مَنْ يَهد الله فلا مضل له ومَنْ يُضلل فلا هادى له﴾ فعلمت أنها ضالة - ضلت الطريق.

فقلت: أيتها المرأة: من أين أقبلت؟

قالت: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ فعلمت أنها من بيت المقدس.

فقلت: ما الذى جاء بك؟

قالت: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾.

فقلت: أتركبين على بعير؟

قالت: ﴿وما تفعلوا من خَيْر يعلمه الله﴾ فلما أرادت الركوب قالت: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ فأعرضت عنها - فلمَّا ركبت، قلت لها: ما اسمك؟

قالت: ﴿واذكر فى الكتاب مريم﴾.

قلت لها: ألك أولاد؟

قالت: **﴿ووصَّى بها إبراهيم بنيه﴾** فعلمت أن لها أولادًا فقلت: «وما أسماؤهم؟» .

قالت: **﴿وكَلَّمَ الله موسى تكليما﴾**، **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾**، **﴿ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض﴾**.

فقلت لها: فى أى عملٍ هم؟

قالت: **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾** علمت أنهم أدلة الرَّكب.

فقلت: يا مريم - أتأكلين؟

قالت: **﴿إنى نذرت للرحمـٰن صومًا﴾** فلما وصلنا إلى أولادها ورأوا أُمَّهمُ بكَوْا وقالوا: هذه أُمَّنا قد ضلت منذ ثلاثة أيام وقد نذرت ألا تتكلم إلا بالقرآن .

فقالت وهى تبكى: **﴿فابعثوا أحـدكم بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا برزق..﴾**.

ثم بعد ذلك رأيتهم وهم يبكون، فسألتهم عن السبب فقالوا:

«إنَّ أمنا تموت، فدخلت عليها وسألتها عن حالها فقالت وهى تبكى، وقد اشتد نحيبها، وتنظر إلى السماء: **﴿وجاءت سكرةُ الموت بالحق﴾** فلما ماتت رأيتها فى المنام، فقلت لها : أين أنت؟ قالت: **﴿إن المتقين فى جنات ونهر. فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾**.

والدة البخارى

كان البخارى يتيما - يقول الحافظ [١]: ومات «إسماعيل» والد البخارى - ومحمد صغير - فنشأ فى حجر أمه (وكانت صالحة تقية قوامة «تقوم الليل») وكانت عابدة صاحبة كرامات.

روى غنجار فى تاريخ بخارى، واللالكائى فى « شرح السنة» فى باب:

(١) ذكره الحافظ فى هدى السارى (٥٠٢) وما بين الأقواس يعدّ توضيحًا من عندنا.

«كرامات الأولياء» من - أن «محمد بن إسماعيل» ذهبت عيناه فى صغره، فكانت أُمهُ تكثر الدعاء له فى صلاتها وفى قيامها بالليل وفى كافة أوقاتها - وتتضرع إلى الله، فرأت والدته - الخليل «إبراهيم» عليه السلام فى المنام، فقال لها: يَاهذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

عابد البصرة

قام الليل ثم استراح قليلاً، ثم قام فصلى الصبح - وخرج لقضاء حاجته واقترب موعد الجمعة . فخرج متجها إلى مسجد البصرة كى يصلى الجمعة- وكان قد ضل حماره، ودقيقه فى الطاحون ودخلت نوبة سقى أرضه، فتفكر فى نفسه وقال: إن ذهبت إلى الجمعة فاتتنى هذه الأعمال، ثم قال: عمل الآخرة أولى وأبقى. فذهب إلى الجمعة ولما رجع وجد أرضه قد سقيت، ورجع حماره، وامرأته تخبز. فسأل امرأته فقالت:

وقت آذان الجمعة - سمعت طَرْقًا على الباب ففتحته فإذا الحمار أمام الدار فدخل . وأما الأرض فإن الملاصق لأرضنا أراد سقى أرضه ، فنام، فانفجرت المياه فسقت أرضنا. وأما الدقيق فى الطاحون ، فإنه كان لجارنا دقيق فى الطحاون فذهب ليأتى به فأخطأ فحمل جوالقنا، فلما جاء بها إلى بيته عرفها، فدفعها لنا، فرفع الرجل رأسه وهو يبكى - (إلى السماء) - ثم قال: يارب قضيت لك واحدة فقضيت لى ثلاثة - فلك الحمد حتى ترضى(١).

*****

(١) مصباح: (٣٢).

فارس الليل السخى

عطية بن خلف

قيل[1]: إنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له: «عطية بن خلف» وكان من أهل الثروة، ثم افتقر، ولم يبْق له سوى ثوب يستر به عورته، فلما كان يوم «عاشوراء» صَلَّى الصبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادته أن يخرج بعد الصلاة ليمشى فى الطرق فترة، ومشى يدعو الله، فجاءته امرأته ومعها أطفال أيتام وقالت: ياسيدى سألتك بالله إلا ما فرجت عنى، وأثرتنى بشىء أستعين به على قوت هؤلاء الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئًا، وأنا امرأة شريفة ولا أعرف أحدًا أقصده، وما خرجت فى هذا اليوم إلا لضرورة، فقال الرجل فى نفسه: أنا ما أملك شيئًا، وليس عندى غير هذا الثوب الوحيد، إن خلعته انكشفت عورتى وإن رددتها فأى عذر لى عند الله ورسوله (وكان عطية يقيم الليل لا يتركه إلا لعذر) .

قال لها: إذهبى معى حتى أعطيك شيئًا، فذهبت معه إلى منزله، فأوقها على الباب، ودخل وخلع ثوبه، وإئتزر بخلق كانت عنده، ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت له: «ألبسك الله من حلل الجنة، ولا أحوجك بعد الليلة. وأغلق عطية الباب ـ وأخذ يفكر كي يخرج فى الصباح، وليس عنده ما يوارى عورته؟ فقام فتوضأ، ثم صَلّى، ثم نام فرأى فى المنام«حوراء لم ير الراءون أحسن منها»، وناولته حُلَّة من حُلل الجنة، وأطعمته من فاكهة الجنة. فلما استيقظ بكى كثيرًا، ورفع يديه إلى السماء وقال: إلـهى: أرسلت إلىَّ المرأة فأكرمتها من أجلك ، وواظبت على قيام الليل والناس نيام من أجلك ـ إلـهى قد أريتنى ما عندك ـ وقد دعت لى المرأة: ألا تحوجنى إلى أحد بعد الليلة. وأنا ما أجد ما أستر به عورتى . فما فرغ من دعائه حتى فاضت روحه إلى بارئها ـ رحمه الله ـ.

*****

(٢) الروض: (٢١٣ ـ ٢١٤).

الغلام العابد

يقول عبد الله بن واسان: مشيت ذات يوم فى أحد أزقة الكوفة، فرأيت غلامًا صغيرًا يبكى، فقلت له: ما يُبكيك يا غلام؟

قال: خَوْفا من الله.

قلت: أنت مسلم وتخشى الله؟ قال: أنا مسلم أصلى، وأصوم وأقوم بعض الليل خوْفًا من الله.

قال: ومالذى خَوَّفك هكذا؟

قال الغلام: جلست بجوار أمى وهى توقد النار،فرأيتها تقدم الحطب الصغار على الكبار، فقلت لها: يا أماه - لماذا تقدمين الصغار على الكبار؟ قالت: ولدى لأن الكبار لا تشتعل إلا بالصغار. فهذا الذى أحرق كبدى ولوعنى.

*****

العابد الصغير(*)

ويروى عن بكر العابد قال: تعبد شاب صغير من أهل الشام، فبالغ فى العبادة والاجتهاد فقالت له أمه: يا بنى، عملت بنفسك ما لم يعمله أحد من الناس، أما تريد أن تنام فى ليل ولا نهار؟! فقال لا: يا أماه، ليتك كنت بى عقيماً، ليتك لم تلدينى يا أماه، إن لابنك فى القبر رقاداً طويلا، وفى عرصات القيامة موقفا مهولاً، فقالت له: يا بنى، لولا أنى أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت حدثاً موبقاً وأذنبت ذنباً مهلكاً لما أراك تصنع بنفسك. فقال لها: يا أماه، وما يدرينى أن يكون الله عز وجل قد اطلع علىَّ، وأنا فى بعض ذنوبى فمقتنى؟ وقال: اذهب فلن أغفر لك، ثم صرخ صرخة خر منها ميتاً. رحمة الله عليه.

قصة عابد صغير آخر

وقال سفيان الثورى رحمه الله: تعبد شاب صغير من بنى تميم، فكان يحيى الليل كله بالصلاة لا ينام. فقالت له أمه: يا بنى، لو نمت شيئاً. فقال لها: يا أماه، ما شئت، إن شئت نمت اليوم ولا أنام غداً، وإن شئت لم أنم اليوم لعلى أدرك النوم غداً مع المستريحين من عسر الحساب، والآمنين من خوف العذاب. فقالت له: والله يا بنى ما أريد لك إلا راحة الآخرة، والنجاة من شدائدها، والفوز بنعيمها، يا بنى. راحة الآخرة أحب إلىَّ لك من راحة الدنيا، فدونك يا بنى فحالف السهر لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم، وما أخالك ناجياً. فصرخ الشاب صرخة خر ميتاً بين يديها، فاجتمع إليها نساء بنى تميم يعزونها فجعلت تقول: يا بنياه، واقتيل يوم القيامة.

عابد ليل

يروى عن أبى عمر بن حزاب الله قال: كنت فى محرس من محارس الشام، فسمعت رجلاً ينشد هذه الأبيات بالليل:

(*) راجع: الصلاة والتهجد ـ مصدر سابق لابن الخراط.

لَوْ عَلِمَ الراقِدُون مَا رَقَدُوا ... ولا تهَنّــى منـــامهُ أحَــدُ
يأيهَا النَّائمُونَ وَيْحَكُمُ ... قدْ فَازَ مَنْ فى الظلاّم يجتهدُ
إنْ كنْتم نُـومًـــا فـــإنَّ لَهُ ... رجــال صِدْقٍ قـــد انفردُوا

قال: فقام الناس من كل جهة لما سمعوه يصلون ويتهجدون.

وقال سسفيان بن عيينة: قدم علينا يوسف بن يعقوب ـ كان قاضياً لأهل اليمن فذكرناه أخبار الحكم بن أبان فأثنى عليه خيراً وقال: كان يصلى بالليل، فإذا غلبه النعاس نزل فى البحر، فقعد يسبح الله ويقول: أسبحه مع دواب البحر، وأذكره مع الذاكرين، وأسبحه مع المسبحين، سبحان المسبح بألسنة الأولين والآخرين من أهل السمٰوات والأرض والخلائق أجمعين.

وكان عمران بن زيد قد عاهد الله تعالى ألا ينام بليل إلا مغلوباً، وكان يقول: حببت إلىَّ طاعة الله، فلولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما أحببت البقاء فى الدنيا. فلم يزل مجهوداً حتى مات، فرأته ابنته فى النوم، فقالت له: يا أبت: لا عهد لى بك منذ فارقتنا فكيف حالك؟ قال: خير حال يا بنية، قربنا فى المنازل ومهدت لنا المضاجع ونحن هاهنا يغدى علينا ويراح برزقنا من الجنة. فقالت: وما الذى بَلَّغَكُم هذا؟ قال: الصبر الصالح، وكثرة التلاوة للقرآن.

وكان حسان بن أبى سنان من المجتهدين المشمرين، كان ورعاً.، كثير الصلاة، كثير الصيام، فنحل وسقم حتى صار كهيئة الخيال، فلما مات وأدخل مغسله ليغسل، وكشف عنه الثوب فإذا هو كالخيط رقة ونحافة، فجعل أصحابه من حوله يبكون.

ويروى عن محمد بن عبد الواحد، وكان من الصالحين قال: ركبنا فأصابتنا أهواله، فألقتنا إلى جزيرة من جزائره فخرجنا إليها، فإذا رجل يعبد صنما من دون الله عز وجل، فقلنا له: من تعبد؟ فقال: هذا، وأومأ بيده إلى الصنم. فقلنا له: ما هذا إلـه، هذا لا شىء عندنا، فى المركب من يعمل مثله وخيراً منه. قال: وأنتم من تعبدون؟ قلنا: نحن نعبد الله الملك الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض مشيئته، وفى البر والبحر قدرته، وفى الموتى قضاؤه، وفى الأجنة فى بطون أمهاتها

ينفذ حكمه.

قال: وما علمكم بهذا الذى تقولون؟ قلنا: بعث إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك قال: وما فعل ذلك الرسول؟ قلنا له: أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ثم قبضه الله إليه واختار له ما لديه. قال: فهل عندكم من علامة؟ قلنا: نعم؟ ترك عندنا كتاب الملك. قال: فأقرئونى كتاب هذا الملك، فإنه ينبغى لكلام هذا الملك، ينبغى فى سلطانه وجلاله أن يكون حسناً.

فأتيناه بالمصحف فقال: لا أعرف هذا، لا أقرؤه. فقرأنا عليه منه فبكى، فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكى فلما فرغنا قال: ينبغى لصاحب هذا الكتاب ألا يُعْصَى، ثم قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله صاحب هذا الكتاب، وأشهد أن محمداً رسول لله الذى جاء به.

فعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، وحملناه معنا فى المركب، فلما صلينا العشاء الآخرة ذهبنا ننام فقال: يا قوم: هذا الإلـه الذى دللتمونى عليه أينام إذا جنَّهُ الليل. فقلنا: هو عظيم شأنه عزت أسماؤه وجل جلاله.

فقال: بئس العبيد أنتم إذْ تنامون ومولاكم لا ينام، يريد ألا ينام أحد إلا مغلوباً، فأقبل على العبادة والاجتهاد يصلى الليل والنهار فأعجبنا كلامه واجتهاده، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى: هذا رجل قريب العهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه إياها. فقال: ما هذا؟ قلنا له: تنفقها وتستعين بها على عبادة ربك.

فقال: لا إلـه إلا الله دللتمونى على طريق لم تسلكوها أو سلكتموها ثم نسيتموها، أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر أعبد صنماً من دونه فلم يضيعنى وأنا لا أعرفه ولا أعبده، فكيف يضيعنى اليوم وأنا أعرفه وأعبده؟!

فلما كان بعد أيام قيل لنا: أدركوه فإنه لمآبه، فأتيته فوجدته فى سكرات الموت، فقلت له: هل من حاجة؟ قال: قد قضى حاجتى الذى جاء بكم إلى الجزيرة حتى أخرجتمونى - فبينا - أنا معه وهو يعالج سكرات الموت غلبتنى عينى فرأيت فى المنام روضة خضراء فيها قبة. وفى القبة سرير عليه جارية لم يرَ الرآؤون

مثلها، وهى تقول: سألتك بالله إلا ما عجلت به إلىَّ، فقد اشتد شوقى إليه.

فاستيقظت مرعوباً، فنظرت إليه فإذا هو ميت فغسلناه وكفناه وواريناه التراب، فلما كان من الليل رأيت فى النوم تلك الروضة، وفيها تلك القبة، وفيها ذلك السرير، وعليه تلك الجارية وهو إلى جنبها، وهو يكرر هذه الآية: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.

هذا والحمد لله رب العالمين

المؤلف/ الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبى

المنصورة

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ صحيح البخارى.

٣ـ صحيح مسلم بشرح النووى.

٤ـ سنن أبى داود.

٥ـ سنن الترمذى.

٦ـ مسند أحمد بن حنبل.

٧ـ سنن ابن ماجة.

٨ـ سنن النسائى.

٩ـ سنن الدارمى.

١٠ـ سنن ابن منصور.

١١ ـ المستدرك للحاكم.

١٢ ـ التوابين لابن قدامة.

١٣ـ الصلاة للخراط.

١٤ـ التذكرة للقرطبى.

١٥ التبصرة لابن الجوزى.

١٦ـ الموارد ـ لعبد العزيز السلمان.

١٧ ـ المصباح.

١٨ـ الروض لشعيب الحرفيش.

١٩ ـ حياة الصحابة للكاندهلوى.

٢٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لجميع عاطف الزين.

الفهرس

الموضوع	الصفحة